

فلسفة الاعتراف: قراءة في أطروحات يورغن هابرماس وأكسل هونيث

The Philosophy of Recognition: A Reading in the Theses of Jürgen Habermas and Axel Honneth

أ. محمد العربي العياري^{*1}

¹ مركز الدراسات المتوسطة والدولية. تونس، activiste83@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/03/31

تاريخ القبول: 2021/03/14

تاريخ الاستلام: 2021/02/13

Summary

This study discusses the philosophy of Recognition as one of the current theses in the contemporary social and political philosophy. It traces the philosophical legacy that contributed to the emergence of this concept, before the reviving and enriching through the approaches set by the philosophers of Frankfurt school and postmodern thinkers. It stops by Jürgen Habermas and Axel Honneth in order to detect the current state of this approach and to which extent it is able to counter contemporary societies' problems. We presented thus the approach developed by Habermas on the question of inter-subjectivity and problems of communication. Then the idea developed by Honneth about the struggle for recognition and his contribution in presenting new forms of recognition.

We aim through this study to deliver a reading that can help to reveal the importance of this concept and join it with the possible mechanisms that look forwards to solve the contradictions and the problems of the modern liberal state with the overlap of its components and variation of the mechanisms they function with.

Keywords: Subject, inter-subjectivity, recognition, struggle, contempt.

الملخص

تبحث هذه الدراسة في فلسفة الاعتراف من جانب كوئنا تعد من الأطروحات الراهنة في الفلسفة الاجتماعية والسياسية المعاصرة، وذلك من خلال تتبع الأثر الفلسفي الذي مهد لبروز هذا المفهوم وتأصيله، ثم إعادة تحيينه وإغناؤه عبر مقاربات فلاسفة مدرسة فرانكفورت ومفكري ما بعد الحدائثة. فتوقفنا مع "يورغن هابرماس" و"أكسل هونيث" لنكتشف راهنية هذا الطرح، ومدى قدرته على التصدي لمشاكل المجتمعات المعاصرة. لذلك قمنا بتقديم المقاربة التي قدمها "هابرماس" في مسألة التداوت ومشكلات التواصل. ثم الطرح الذي صاغه "أكسل هونيث" حول مفهوم الصراع من أجل الاعتراف، وتقديمه لأشكال وصيغ جديدة من الاعتراف.

أردنا من خلال ذلك، أن نقدم قراءة قد تساهم في مزيد الكشف عن أهمية مفهوم الاعتراف، وإرفاقه بجملة الآليات الممكنة التي ترنو نحو حل تناقضات وإشكاليات الدولة الليبرالية الحديثة بتداخل مكوناتها وتعدد ميكانيزمات اشتغالها.

الكلمات المفتاحية: الذات، التداوت، الاعتراف، الصراع، الاحتقار.

* أ. محمد العربي العياري: activiste83@gmail.com

مقدمة:

يُمثل مفهوم الاعتراف أحد الأطروحات الهامة التي تُحاول الفلسفة السياسية المعاصرة، تنزيله كأحد الحلول الممكنة أمام موجات الصراع الاجتماعي والسياسي. لذلك، تتعدد المقاربات التي تعاملت مع فلسفة الاعتراف بوصفه بديلاً نظرياً عن مقاربات الهيمنة والغلبة، وحتميات التدافع الاجتماعي والاختصاص. فنجد مقاربة "يورغن هابرماس" (1929_...) حول الفضاء العمومي، باعتباره إعادة هندسة للشرط المكاني للتواصل، ومطارحات "أكسل هونيث" (1949_...) في رؤيته لمآلات عملية التواصل الهابرماسي، بمثابة القراءات السوسيو فلسفية لعملية معقدة وعميقة من جانب إمكاناتها النظرية، لكنها تُلامس من جانب قدراتها العملية، إمكانات شاسعة من جانب ما يُمكن أن تُقدمه من حلول.

نشير إلى أن ما طرحه "هابرماس" و"هونيث"، كانا نتاجاً لقراءة تعود جذورها التأسيسية إلى موروث فلسفي غزير ومتعدد، يمر على الرؤية الهيغلية لعملية التذاوت، وصولاً إلى نقد الليبرالية السياسية المعاصرة، مع "أكسل هونيث". وبقدر عمق ما تراكم من مقاربات، وما تعدد من رؤى، تُوضع فلسفة الاعتراف في مجملها في خانة البراديجم الجوهري باعتباره خلاصة عملية التذاوت وسيرورة بناء الذات واكتشاف عقلانية بديلة عما قدمه العقل الحدائثي. هذا العقل الموسوم بالأدائية المفرطة التي أخضعت كل مخرجاته إلى منطق المصلحة والغاية التي تجذب في الوسيلة تبريراتها ومُسوغاتها. من هذا المنطلق، يتموضع العقل الحدائثي داخل إطار من الهيمنة والإخضاع والسيطرة التي قطعت مع مشروع التحرر الأنواري وعمقت تناقضات الإنسان ذاته كمشروع وهدف. أمام هذه الإشكاليات السوسيو سياسية التي تنخر جسد الدولة الديمقراطية الحديثة. يُستدعى مفهوم الاعتراف باعتباره حلاً للتناقضات والإشكاليات المشار إليها، هذا مع التنبيه إلى ضرورات معالجته بما يتماشى مع ما تعيشه الدولة الحديثة من تمفصلات بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي وما هو اجتماعي، في مستوى العلاقات والأشكال الفكرية والتعبيرية الجديدة. من هذا المنطلق أيضاً، يتحول براديجم الاعتراف كإشكال فلسفي يتطلب التساؤل على الجدوى من تنزيله كحل، ويفرض البحث في قدراته وراهنيته. فتتكشف إشكالياتنا في التساؤل عن الحدود الممكنة لقدرات مفهوم الاعتراف على الاستجابة لشرط التحرر باعتباره جوهر عملية

سيرورة الحدائة. لذلك سوف نعتمد في هذه الدراسة على المحاولات التي قام بها "يورغن هابرماس" و"أكسل هونيث" في سياق المجهود الفكري الذي حاولا مراجعته وتأصيله، سعيا نحو تنزيل فلسفة الاعتراف كحل ممكن نظريا وعمليا لسد الثغرات التي تساوقت مع العقل الحدائثي في مستوى عجزه على حل المشكلة السياسية للحدائة، ألا وهي مشكلة التحرر باعتبارها تكثيفا لمعاني الحرية، وتتويجا للعلاقات السوسيوسياسية القائمة على العلاقة السوية بين الأنا والآخر.

سوف نحاول تتبع المسار الفكري لـ"يورغن هابرماس" في تأصيله للصراع من أجل الاعتراف من خلال شروحه لفلسفة هيغل (1770-1831) أولا، واستفادته من النقد الموجه نحو مقارنته للفضاء العمومي، واعتماده على فلسفة اللغة من جهة ثانية. ثم نحاول اكتشاف المعنى من تجذير مفهوم الاعتراف وإعادة تحيينه مع "أكسل هونيث"، انطلاقا من قراءة "هابرماس" أولا، وثانيا، من خلال نماذج الاعتراف كما حددها. دون أن نتجاوز مسألة الكشف عن الفروقات والتوافقات الممكنة بين الطرح الذي اعتمده كليهما، لنصل إلى التأكد من الفرضية التي تقول بأن مفهوم الاعتراف له من القدرات الإجرائية، ما يساعد على التصدي للصراعات الاجتماعية، وكذلك، بوصفه الترياق الأكثر فاعلية على إعادة توجيه دفة العلاقات السياسية والثقافية وغيرها من داخل الدولة الحديثة. لنصل إلى الكشف على نتائج اختبار راهنيته ومشروعية استعمالاته.

1. الدلالة المعجمية لمفهوم الاعتراف

يشير "لالاند" في الموسوعة الفلسفية إلى معنى: "اعترف بأمر سلم به، أو قبول رأي على أنه حقيقة واقعة. وتجدر الإشارة إلى أن الاعتراف ليس فقط الحكم بأن الشخص كان معروفا من قبل، بل هو أيضا تحديد هويته وبالتالي إدراج الصورة في اسم وفي فكرة يؤديان دورا مماثلا لدور المفهوم." (لالاند، 2001، ص:1180)

إذن، يجمع "لالاند" بين مفهوم الاعتراف بمعاني التسليم وقبول الرأي كحقيقة واقعة. بصورة أوضح، يميلنا إلى أن الاعتراف يتعلق بما هو غير خاطئ ووهمي. هذا الحقيقي والواقعي ينطبق على الشخص المعروف

بالمعنى المحدد من جانب الهوية. بهذا الشكل، يصبح مفهوم الاعتراف مقترنا-حسب "اللانند"- بمعاني الحقيقة والواجب، كما أنه يشير إلى مصطلح التسليم وقبول الرأي، بحيث يتأرجح المعنى بين دالتين أحدهما يقترن بالآخر في ظهوره واستعمالاته وهما: الحق كاشتقاق لغوي من مصطلح الحقيقة، ومصطلح الواجب. تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الاعتراف-حسب الإحالات التي يطرحها لا لانند- يحتل إحالات أخرى على معاني الامتنان والعرفان بالجميل.

أما عن حضور المفهوم في المعجم الفلسفي العربي، فعبر صفحات من المعجم الفلسفي "الجميل" صليبا نجد ما يلي: "الفعل الذهني الذي يقوم على إدراج أحد الأشياء في إحدى التصورات كالضوء المفاجئ. والتعرف عند "كانط"(1724-1804) إحدى وظائف العقل التركيبية، وهي ثلاث: إدراك الامتثالات بالحدس واستعادتها بالخيال وتعرفها بالعقل. ومن قبل ذلك يقول "هربرت سبنسر"(1820-1903): «إن جميع عمليات العقل تنقسم في النهاية إلى التعرف والتشابه والتباين.»(ص:137) يتحدث "جميل صليبا" عن الاعتراف كفعل ذهني، ومن خلال الإحالة على معاني الفعل الذهني، نستحضر المقاربة الفينومينولوجية عند "إدموند هوسرل" (1859-1938)، حيث يميز بين فعل الوعي ومضمون الوعي من جانب أنه يحيل فعل الوعي إلى حضور الموضوعات في الوعي، أما مضمون الوعي، فيحيل على الفعل الذي يقوم به الوعي لإحضار الظاهرة فيه. بالعودة إلى تعريف "جميل صليبا" لمفهوم الاعتراف، نلاحظ أننا بصدد الحديث على الفعل الذي يقوم به الوعي لإحضار الظاهرة فيه بمعنى أن للموضوع حضورا في العالم الخارجي وليس جاهزا في العقل، بل هناك عملية تكوينية يؤسسها الوعي. بهذا الشكل، يكون معنى الاعتراف كالتقاء بين الذات والموضوع من خلال تركيب جزئيات الموضوع وترتيب علاقاته ومجرداته. بصورة أوضح، يظهر الاعتراف كعلاقة بين ذات وأخرى قد تتخذ صفة الحدث أو الشخص أو غير ذلك وتُبنى هذه العلاقة من خلال ما سماه جميل صليبا "الفعل الذهني"، بحيث انه يستحضر التصور "الكانطي" لوظائف العقل التركيبية.

بهذا المعنى، نخلص إلى أن مفهوم الاعتراف يظهر بما هو إقرار بصفة خارجة عن الموضوع يُدرك كمعطى أو صفة تتصل بمُخرجات الحكم التركيبي الذي يتعامل مع ما هو ترنسدنتالي أي ما حقيقته خارج العقل، وهو فعل ذهني يُعنى بتكيب الجزئيات كما فسّر "إدموند هوسرل".

هذه أهم التصورات المعجمية التي أحاطت بمفهوم الاعتراف، والتي يمكن حصرها على الشكل الآتي:

* الاعتراف كدلالة معجمية على العرفان.

* الاعتراف كدلالة معجمية على الحقيقة، الواجب والتسليم.

* الاعتراف كدلالة معجمية على التعرف.

2. الجذور الفلسفية لمفهوم الاعتراف

يفرض البحث الفلسفي في فلسفة الاعتراف، أن نحاول تأصيل المفهوم بمعنى أن نتبع -قدر الإمكان- الجذور الفلسفية التي تكشف عن بدايات تموضعه كمبحث فلسفي. إن التعدد والكثافة في علاقة بالأطروحات التي تناولت هذا المفهوم، فرضت على الباحثين، تكثيف فلسفة الاعتراف في اتجاهين أو رؤيتين. الاتجاه الأول يُرجع تكوّن وتطور فلسفة الاعتراف إلى المثالية الألمانية ممثلة في "فيخته" (1762-1814) كمؤسس وفي فلسفة "هيجل" (1770-1831) كاكتمال لهذا التأسيس. أما الاتجاه الآخر فإنه يعود إلى لحظات تأسيسية سابقة وبالتحديد إلى "أفلاطون" (427 ق م - 347 ق م) و"كانط" و"ديكارت" (1596-1650) مثلما هو الشأن مع "بول ريكور" (1913-2005). وفي مقابل هذين الاتجاهين، تبرز قراءات أخرى تجمع مفهوم الاعتراف من جانب لحظاته التأسيسية بمفكرين مثل "جون جاك روسو" (1712-1778) كأول من أصّل للاعتراف كفلسفة متكاملة. لتتبع معاني الاعتراف عند "روسو"، نقرأ ما كتبه "حسام الدين درويش": «يمكن أن نميز بين ثلاث دلالات أساسية لكلمة الاعتراف في النصوص الروسية: الشعور بالعرفان أو الامتنان أو التعبير عن هذا الشعور ... الاعتراف أو الإقرار بحقيقة ما والتعرف إلى شيء أو

شخص ما أو إعادة معرفته. فالمفهوم المركزي في فلسفة الاعتراف عند روسو هو مصطلح "الحب الشخصي". (درويش، 2014، ص: 15)

في تناول مفهوم الحب الشخصي عند "روسو"، نلاحظ الإحالة إلى حاجة الذات وسعيها ورغبتها في الحصول على استحسان الآخرين أو إعجابهم وتقييمهم الإيجابي. مسار جديد لفلسفة الإنسان يلخص بمقولة "غوته" (1749-1832): "مع فولتير انتهى العالم القديم، ومع روسو فإن عالما جديدا يبدأ". المفكر الآخر الذي اقتترنت أعماله الفكرية بموضوع الاعتراف هو "هيغل" ليصبح موضوع الاعتراف "موضوعا مألوفا في الفلسفة الأوروبية". لقد عمق "هيغل" البحث في مفهوم الاعتراف حتى أصبح المرجع الرئيسي والأكثر استنادا على فلسفته وخاصة مع "يورغن هابرماس" (1929-...) و"أكسل هونيث" (1949-...) من خلال تجربة التداوت وديالكتيك التفاعل. هذا الدور الذي يلعبه المفهوم والمتمثل في خلق إمكانات واقع مغاير، كان العنوان الأبرز في الجهد الذي قام به "أكسل هونيث" من خلال اشتغاله على فلسفة الاعتراف.

3. الفلسفة الهيغلية: ديالكتيك التفاعل ومفهوم الاعتراف

يُحِيلنا البحث في فلسفة "هيغل"، إلى التوقف عند موضوع الذات والصراع من أجل تشكّل الوعي (وعي الذات بذاتها). فبين الذات كإرادة عند "نيتشه" (1844-1900)، والذات كعقل عند "ديكارت"، نقف إزاء مقارنة خاصة عند "هيغل" لتداول في مفهوم الذات كسيروورة تكوّن من خلال فعل التواصل مع ذوات مغايرة تحت عنوان: الصراع، والذي يرنو إلى تحقيق الاعتراف.

في هذا المعنى، يكتب "هابرماس" في: "العلم والتقنية كإيديولوجيا": «هيغل لا يربط تأسيس الأنا بتأمل أنا منعزلة على ذاتها وإنما يدركه من سيروورات تكوّن وتحديدا تكوّن الوحدة التواصلية لذوات متعارضة». (هابرماس، 2003، ص: 10)

يُقيم "هابرماس" تمييزا بين العقلانية الأداتية والعقلانية التواصلية، حيث ينطلق من نقد معادلة "ماكس فيبر" (1864-1920) التي تتكثّف في مفاهيم "فقدان الحرية وفقدان المعنى" التي كانتا نتاجا لسيطرة نوع

واحد من العقلانية وهي العقلانية الأداة. حيث يتبنى المقاربة التي قدمها "جورج لوكاتش" (1885-1971) والتي تتمثل في اعتبار أن الأدوات ليست سوى شكلا من أشكال العقلانية وليست ممكناتها الوحيدة. من هذه الزاوية، أعاد "هابرماس" النباش في فلسفة "هيغل" بحثا عن أدوار ممكنة ومغايرة للذات.

هذه الإحالة المباشرة إلى الفلسفة الهيغلية وإحياء قراءتها مع "هابرماس"، تعود إلى أمرين: أولا، أن "هابرماس" نجح في ما فشل فيه رواد مدرسة فرانكفورت الأوائل، "ماكس هوركهايمر" (1895-1973) و"تيودور أدورنو" (1903-1969) و"هربرت ماركوز" (1898-1979)، وقدم نموذجا نظريا جديدا لم يتجاوز به الماركسية فقط، وإنما تجاوز به النموذج السائد في الفلسفة الحديثة والمعاصرة منذ "ديكارت" وإلى ما قبل النظرية النقدية، والذي يسميه بنموذج فلسفة الوعي بنموذج جديد هو فلسفة الذات. ("عبد النور، 2007، ص:318)

هذا المنعطف النقدي للنظرية الكلاسيكية، قام "هابرماس" بتوظيفه في سياق إعادة استنطاقه للعلاقات الممكنة للذات داخل حدود عالم العقلانية. وقد اعتمد في بحثه هذا على الرؤية الهيغلية لما يسمى بالتداوت، حيث تخوض الذات صراعا من أجل الاعتراف.

التقط "هابرماس" هذه الأطروحة انطلاقا مما يعرف عند "هيغل" بديالكتيك التفاعل، وقام بقلب شروطه (الصراع) من خلال الاعتماد على فلسفة اللغة سعيا نحو تحقيق العقلانية التواصلية وحتى يكون الحاصل ممثلا في التفاهم كبديل على مآلات ونتائج جدلية السيد والعبد كما حددها "هيغل".

الأمر الثاني الذي يبرر تناولنا لمسألة الذات من خلال الربط بين "هيغل" والشروحات الذي قدمها "هابرماس"، يتمثل في المقاربة التي اعتمدها "أكسل هونيث"، والتي تتمظهر في انطلاقه من البراديغم الهابرماسي ونعني به التفاهم، واستبداله ببراديغم الاعتراف، معتمدا في ذلك على قراءة للذات كما صاغها "هيغل" ولدور فلسفة اللغة كما حددها "هابرماس".

من المهم أن نطرح، بنية النظام الفلسفي وفق المقاربة الهيغلية، فنشير إلى ثلاثية: المنطق وفلسفة الروح المطلق ومبدأ الجدل. حيث يحيل المنطق على الأنطولوجيا، في حين تشير فلسفة الروح المطلق إلى الله والدين. أما عن الجدل، فقد قدّم "هابرماس" من خلال قراءته لرسائل "بيننا" لـ "هيغل" الشاب، الأنماط أو التفريعات الكبرى له والمتمثلة في: ديالكتيك العمل والذي يعني علاقة أداتيه بين الإنسان والطبيعة، ثم ديالكتيك التمثيل والذي يرتبط بالذات، وأخيراً ديالكتيك التفاعل والذي يتمظهر من خلال العلاقة بين الذوات، والتي تبرز من خلال ديالكتيك الصراع من أجل الاعتراف والاعتراف المتبادل.

في كتاب "فينومينولوجيا الروح"، يحلل "هيغل" جدلية الصراع بين السيد والعبد بحيث يأخذ هذا الصراع أهمية محورية في علاقة بتشكيل الوعي بالذات. ووفق ما تقدم، تطرح هذه الأهمية دوراً مزدوجاً: من جانب أول، فالوعي يبحث عن نفسه داخل ذات أخرى وبذلك تنشأ علاقة التواصل. ومن جانب آخر، تجد الذات نفسها في الآخر. ومن هنا يولد الصراع الذي ينتهي بطرف منتصر (السيد) وطرف منهزم (العبد). ويبقى شرط الحصول على الاعتراف متوقفاً على عدم موت أحد الطرفين لأن ذلك يعني فقدان الوعي الذاتي لفرصته في الحصول على الاعتراف، مما يجعل الاعتراف والبقاء أو الحضور كمتلازمة شرطية أحدها غاية والآخر نتيجة.

حسب هذا الطرح الهيغلي، يكون السيد هو ذلك الذي يدمر الاعتماد على الحياة، في حين أن العبد هو ذلك الذي يفضّل الحياة على الموت ويمتنع عن تدميرها. في هذا المعنى، يكتب "هابرماس": "يعتمد "هيغل" ديالكتيك الأنا والآخر في إطار التفاعلات الذاتية للروح. في حين لا تتواصل الأنا مع ذاتها بوصفه آخرها وإنما أنا مع أخرى بوصفها آخر." (هابرماس، 2003، ص: 10)

من خلال هذه المقولة، نتبين أن مفهوم الاعتراف يُعبّر عنه من خلال تفاعلات الذات والمتمثلة في تواصل الأنا مع ذاتها ومع أنا مغايرة حتى يتحقق وعى الذات بذاتها. هذا التفاعل يرنو نحو تحقيق الاعتراف من خلال جدلية السيد والعبد التي عبر عنها "هيغل".

إذا كان التأسيس لفلسفة الأخلاق وفق الرؤية التي قدمها "إيمانويل كانط"، تستند إلى العقل الترنسندنتالي مع التنصيص على التمييز بين الواجب الشرطي والواجب الأخلاقي مثلما بين ذلك في "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"، فإن فلسفة الأخلاق الهيجلية تأسست على معنى الصراع من أجل الاعتراف، بحيث يعني "مفهوم هيغل عن الأنا بوصفها هوية العام والمفرد إنما هو نقيض الوحدة المطلقة للوعي الخالص العائد إلى ذاته للإدراك الأصلي الذي ثبت عليه "كانط" بالإجمال هوية الوعي. لم تنشأ الخبرة الأساسية للديالكتيك التي أطلقها "هيغل" في مفهوم الأنا أصلاً كما نرى من مجال خبرة الوعي النظري وإنما العملي. ("هابرماس، 2003، ص:17)

بهذا الشكل، أصبح القول في الذات مع "هيغل" متمركزاً في معنى وعيها بذاتها الذي تجده في الآخر حتى تؤسس لمقومات إدراكها للوجود في بُعديه المجرد والمشخص. ومن خلال مسلسل تشكل الروح عبر عملية التداوت بفعل ديالكتيك التفاعل، يتحقق الاعتراف بالذات عبر جدلية السيد والعبد.

4. يورغن هابرماس والتفاهم كغاية للفعل التواصلي

نقرأ في مقدمة كتاب "نظرية الفعل التواصلي" ما يلي: «عرض هابرماس نظرية نقدية عن الحداثة تسمح بتشخيص أمراضها وتحليلها على نحو يعيد توجيه مشروع الأنوار الجهة الواعدة عوض التنكر له والتخلي عنه.» (HABERMAS, P:86)

نفهم من خلال هذه المقولة، مع استرداد توابعها التفصيلية، كيف تعامل "هابرماس" مع الموقف الذي يقول بانتهاء الحداثة وزوال سطوتها، وبين الرؤية التي لازالت عالقة في قلب الحداثة وتستعرض سلبياتها استناداً إلى العقلانية المفرطة التي تُميزها.

يعتبر "هابرماس" أن الحداثة مشروع لازال يبحث على اكتماله، وهو بذلك يفتح على إمكانات أخرى اعتباراً إلى أن للعقلانية أشكالاً متعددة وبالتالي مآلات مغايرة. وقد تركز بحثه على نقطة مفصلية تتمثل في قلب معادلة الصراع داخل الفضاء العمومي. وللإشارة، فإن سيورة بناء مفهوم الفضاء العمومي عند

"هابرماس"، قد مرت بمحطات عديدة منها ما اتصل بمقاربة "حنا أرندت" (1906-1975) ومنها ما كان عامل تأثير فكري على "هابرماس" مثل الماركسية الأوروبية والانغلاق السياسي. كذلك ظهور الفاشية في جزء من أوروبا، والتأثير العميق للنقد الذي وجهته "نانسي فريزر" (1947-...) للفضاء العمومي بمميزاته الهابرماسية، ثم قراءته المعمقة للمفهوم الكانطي للفضاء العام. وأخيراً، تعاويه مع الديمقراطية الغربية من خلال نقده للديمقراطية التشاركية.

بالعودة إلى مسألة الحداثة وفق رؤية "هابرماس"، نلمس أثر الفكر الذي قدمه "تالكوت بارسونز" (1902-1979) في علاقة بمخرجات الحداثة أو بما انبثق عنها، حيث سيطرت ثلاث أنساق وهي: النسق الاقتصادي، النسق الثقافي والنسق السياسي. ويعتبر "هابرماس" بأن الحداثة السياسية بمعنى هيمنة النسق السياسي مكن من بروز هيمنة علموية على الفعل الإنساني، لذلك وجب حل الإشكالية السياسية للحداثة عن طريق إحلال نموذج العقلانية التواصلية محل العقلانية الأداة التي أنتجت فعل الهيمنة والإخضاع.

من هذه الزاوية، زاوية عالم الهيمنة، يبحث "هابرماس" عن العوالم التي تُوضع الإنسان داخلها ويتأثر بزوايا تفاعلاتها وخصائصها، فيعود إلى مقاربة "إدموند هوسرل" في الجانب المتعلق بالحديث على العالم المعيش أو عالم التجربة الذاتية. هذا العالم الذي يلح "هابرماس" على عقلنته دون الاعتماد في ذلك على آليات عقلنة النسق كما تظهر في الاقتصاد والسياسة مع "ماكس فيبير".

يخلص "هابرماس" إلى المعادلة التي تقول بأن العلاقة بين الذات والموضوع هي جزء من العلاقة بين الذات، أو ما يُعبر عنه بالتداوت، وفي هذا إحالة مباشرة إلى "هيغل" وفعل التداوت.

من هذه العلاقة (بين الذات والموضوع)، يقيم "هابرماس" تمييزاً بين ثلاث عوالم: العالم الذاتي، العالم الموضوعي المشترك والعالم الاجتماعي المشترك.

العالم الذاتي هو عالم العقل التأملي التحرري. أما العالم الاجتماعي المشترك فهو عالم العقل التواصلي بتمظهراته كعقل استراتيجي وعقل تواصلي. فيما يخص العالم الموضوعي المشترك فهو عالم العقل الأداتي كما يبدو عليه هذا العقل بصيغته التقنية الأداتية والتجريبية.

من جانب آخر، يعتبر "هابرماس" أن مواطن القصور في فكر "ماكس فيبير"، هو عدم التفريق بين الأنظمة الثقافية للفعل وبين الأنظمة الاجتماعية، واستنادا إلى تمايز هذه الأنظمة وهذه العوالم، وعلى أنقاض الرؤية التي يقدمها "ماكس فيبير" إلى الحداثة باعتبارها عقلنة للمقدس، يطرح "هابرماس" مقارنته التي تقول بأن الحداثة هي لغونة للمقدس.

بهذه الكيفية، ينزاح القول الهابرماسي نحو الاعتماد على اللغة كأساس للفعل التواصلي نظرا إلى الأدوار التي تضطلع بها والتي يحددها ب: الحقيقة والصواب المعياري وصدق التعبير عن الذات، فيستنطق منجزات فلسفة اللغة مع "تشارلز موريس" (1903-1979)، "ساندرز بيرس" (1839-1914)، "رودولف كارناب" (1891-1970)، "لودفيغ فيتغنشتاين" (1889-1951)، "جين أوستن" (1911-1960)، "جون سيرل" (1932-...) وغيرهم ممن أسبغوا على اللغة معاني وممكنات جديدة لم تكن متداولة داخل المبحث الفلسفي.

ليس المجال متاحا للحديث عن اللغة كموضوع دراسة، لكننا نحيل في هذا السياق على أهمية المبحث وتفطن "هابرماس" إلى أصالة هذا الركن الفكري منذ "أرسطو" (384 ق م - 322 ق م) وحتى مع فلاسفة ما بعد الحداثة أساسا "جاك دريدا" (1930-2004).

إن الغاية من الفعل التواصلي هو الوصول إلى التفاهم، إذ "يحيل مفهوم الفعل التواصلي على التفاعل الذي ينشأ بين ذاتين على الأقل، قادرتين على الكلام والفعل ومنخرطتين في علاقات شخصية سواء كانت هذه العلاقات بوسائل كلامية أو غير كلامية. وينبغي أن يكون هدف الفاعلين هو بلوغ التفاهم حول الوضع

الذي يتناوله فعلهما وحول الخطط التي يصدران عنهما في إنجاز هذا الفعل للوصول سويا إلى تنسيق أفعالهما بطريقة توافقية. "(HABERMAS, P:86)

بهذا المعنى، يصبح الفعل التواصلي سبيلا إلى التفاهم بعد توسط التوافق بين الذوات المتكلمة أو غير المتكلمة. نشير في هذا السياق إلى التأثير المعرفي لـ "هابرماس" بمقولات "كارل أوتو آبل" (1922-2017) حول الحجاج والتواصل.

رغم النقد الذي وجهته "سيلا بن حبيب" (1950-...) نحو مقولات "هابرماس" حول الحجاج، فإن نظرية الفعل التواصلي والتي ترتقي عند "هابرماس" إلى سلطة تقابل السلطة الإدارية، وذلك في خضم عرضه لفلسفته السياسية ودراسته للعلاقة بين القانون والديمقراطية، بصورة تصبح معها سلطة التواصل إحدى الممكنات الضرورية التي يُنتجها بل وتُنتج الفضاء العمومي باعتباره مسرح عمليات التواصل وإنتاج براديغم التفاهم.

هذا الجمع بين عالم النسق وعالم الحياة، مع المحافظة على مميزات كل واحد على حدة، والاعتماد على فلسفة اللغة، مكن من إنتاج الفعل التواصلي الذي يُجمل على التفاهم. وبهذا الشكل، تصير فرضية تحقيق التحرر كغاية للحدثة السياسية أو بما هي حل لمشكلة الحدثة السياسية، تتمتع بنسبة عالية من حظوظ التحقق.

يقدم هابرماس تحديدا علائقيا لبراديغم التواصل، حيث يكتب: «إن لنظرية التواصل علاقة وثيقة جدا بالمسائل التي تطرحها نظرية التطور الاجتماعي.» (هابرماس، 2002، ص: 21)

قام أكسل هونيث بفحص مخرجات النظرية التوافقية عند هابرماس ودعاوي الصلاحية والقيم المعيارية التي أصّل بمقتضاها لنظرية الفعل التواصلي ومفهوم الفضاء العام وكشف من خلالها عن قصور الديمقراطية التشاركية التي أحل محلها نموذج الديمقراطية التداولية. كما بحث في تفكيك النصوص المابعد حدثية مثلما هو الشأن مع بيير بورديو (1930-2002) وميشال فوكو (1926-1984) مستعينا في إعادة تحيينه للمفاهيم بمدارس أخرى نذكر منها مدرسة علم النفس الاجتماعي ممثلة في التفاعلية الرمزية.

5. مفهوم الاعتراف عند أكسل هونيث وإعادة بناء النظرية النقدية

انطلاقاً من الإرث الفلسفي والسوسيولوجي للجيل الأول لمدرسة فرانكفورت، واستناداً على ما تطرحه التغيرات البنيوية من احتدام الصراعات وتعددتها، يشتغل "أكسل هونيث" على ما يمكن تسميته بإعادة تأصيل مفهوم الاعتراف وتجزئته من خلال إغناؤه بمعطيات التحليل السياسي للواقع على ضوء متغيراته وتطور أنماط وأشكال الصراعات.

بهذا الشكل، تحوّل مفهوم الاعتراف على مدلول أكثر التصاقاً بالمعنى الجذري لتمظهراته الاجتماعية والسياسية. وفي هذا الإطار، نقرأ التمهيد الذي كتبه أكسل هونيث لكتابه "الاجتماعي وعالمه الممزق، مقالات فلسفية اجتماعية ما يلي: « طريق المجاهدة الفكرية تمتد من مؤلفات لوكاتش ما قبل الماركسية عبر النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت والأنتروبولوجيا البنيوية لكلود ليفي ستراوس وصولاً إلى الأوضاع المعاصرة لنظرية المجتمع الفرنسية. » (هونيث، 2019، ص: 08،07)

يدل المعنى المشتق من هذا القول، أن عملية المراجعة ستأخذ طريقها انطلاقاً من منجزات مدرسة فرانكفورت وصولاً إلى أطروحات فلسفات وسوسيولوجيا ما بعد الحداثة أساساً فلسفة "ليفي ستراوس" (1908-2009) البنيوية، "ميشال فوكو" كممثل لنظرية السلطة و"بيير بورديو" كمبدع للأشكال الرمزية في علاقة بالثقافة والمجتمع.

هذه الاستعادة للمفاهيم والتعامل النقدي مع مخرجات (مقاربات ما بعد الحداثة)، مثلت الخط الفكري الذي إتبعه "هونيث" في بحثه عن راهنية مفهوم الاعتراف وتقديمه كحل لصراعات الواقع وفك الهيمنة بتمظهراتها المعرفية والسياسية.

هذه المراجعة النقدية، كانت تهدف إلى كشف قصور هذه النظرية ومواطن الخلل التي استوطنتها، والتي يمكن أن نختزلها في ثلاث نقاط من وجهة نظر "أكسل هونيث".

النقطة الأولى تتمثل في أن النظرية النقدية حاولت استبدال نظرية الحداثة بالليبرالية الجديدة. النقطة الثانية تتمثل في إغفال النظرية النقدية للبعد الاجتماعي والسياسي للسيطرة والصراع، بدعوى تقديم فكر جديد ينتصر إلى الحرية السياسية ويُغفل الصراع الاجتماعي والهيمنة. أما النقطة الثالثة فتتمثل في حصر النظرية النقدية في مبحث مستقل ومنعزل وعدم تكثيف الجهد النظري للنظرية النقدية في موقف سياسي حاسم من أجل الكفاح ضد ما يحصل في العالم الاجتماعي.

بهذا الشكل، أصبحت مهام النظرية النقدية، في نظر "هونيث"، متمثلة في: «مهمة وصفية وتقوم على تشخيص وفهم العمليات الاجتماعية المرضية على مستوى التجارب الفردية والجماعية والتي تعرقل من الناحيتين الاجتماعية والأخلاقية تحقيق الأفراد والجماعات لحياة طيبة. ومهمة معيارية تقوم على تحديد ومعرفة معايير أشكال الحياة الاجتماعية الناجحة.» (بومير، 2015، ص: 44)

وفيما يلي إطلالة على التجديد والتحيين الذي صاغه "أكسل هونيث" لمفهوم الصراع من أجل الاعتراف.

5. 1: أكسل هونيث والتحيين الفلسفي لمفهوم الاعتراف

حتى نتبع البناء الفكري الذي اعتمده "أكسل هونيث" لنحت مفهوم الاعتراف، نقرأ نص الحوار الذي أجراه مع الفيلسوفة والمؤرخة "ألكسندرا لافاستين" في سنة 2011 تحت عنوان: "الصراع مع القيم العالمية مغامرة ناقصة"، وفيه حديث عن المجتمع الجديد وأزماته وعن الصراعات التي تشقه وعودة على كتابه "مجتمع الاحتقار".

يجيب أكسل هونيث بصورة واضحة على ما يمكن اعتباره الأسئلة التي تختزل البناء المنهجي لمفهوم الاعتراف، حيث يعود إلى الأطروحات التي أجبرتنا على الانتقال إلى الحديث على أنماط جديدة من الصراعات الاجتماعية والأشكال التي اتخذتها الثقافة السياسية في ظل الليبرالية الجديدة.

ف نجد أنه يحدد خصوصيات المجتمع الحديث، من خلال توفر شروط تحقيق الذات والاستقلالية. كما يعتبر أن مشكلات المجتمعات الغربية في ظل العولمة والرأسمالية المتوحشة، لم توجد بسبب انتهاك مبادئ العدالة، بل بسبب الإضرار بشروط تحقيق الذات والتي أصبحت تفكر في نفسها كمادة معرضة للبيع.

هذا الاهتمام بمسألة العدالة، يحيل بشكل من الأشكال، في علاقة بالمجتمعات الليبرالية، إلى القراءة التي قدمها "جون راولز" (1921-2002) في سعيه إلى البحث عن تصور ملائم للديمقراطية والقطع مع النفعية. وفي هذا السياق، يكتب "جون راولز": «إن نظرية العدالة كإنصاف، هي تصور ملائم للديمقراطية، وهي في ذات الوقت تصور مُنهج ومعقول بشكل كافي ومؤهل لأن يقدم بديلا عن النفعية التي هيمنت في إطار تقليد فلسفتنا السياسية.» (راولز، 2004، ص: 99)

يعتبر "جون راولز" أن النفعية التي ميزت الفلسفة السياسية، لم تفلح في صياغة تصور شامل للعدالة، وبهذا الشكل لازال التصور الديمقراطي للمجتمعات مبتورا من جانب تعبيره على العلاقات القائمة وسياقات التفاعل بين الذوات. للإشارة فإن هذا البعد النفعي لا يهتم بالأقليات، بل يأخذ بمبدأ الأكثرية، وهذا ما يرفضه "راولز" بشدة في إطار صياغته لنظريته في العدالة.

للإشارة فإن هذا الموقف المتمثل في معادلة (الأقلية والأغلبية)، يُعتبر قاعدة أساسية في الممارسة السياسية للديمقراطيات المعاصرة، وهو بلغة "جيل دولوز" (1925-1995)، مجرد تعبير عن أرقام. والأخطر من ذلك، هو تشريع للهيمنة في صورة ما.

في الجزء المتعلق بشكل الثقافة السياسية والأخلاقية القادرة على مجابهة مشكلات الإقصاء والانغلاق، تحيلنا إجابة "أكسل هونيث"، على الطرح الذي قدمته "جوديث بتلر" (1956-...) في معنى أن الديمقراطية يجب أن تكون صراعية تماما حتى تعطل قوة السيطرة والهيمنة التي تؤدي إلى الإجماع الذي يمنع النقد. بهذا المعنى تصبح السياسة الديمقراطية مجالاً للنقد من خلال الصراع والتعارض تساوقا مع المعنى الذي يقصده "جون فرانسوا ليوتار" (1924-1998). وفي جانب آخر، تفتح هذه المقاربة في جزء ما، مجال التطابق مع رؤية

"إدغار موران" (1921-...) في علاقة بتعريفه للذات الفاعلة التي تتصف بالتمرد بما هي نتاج للتاريخانية وتعبير على قدرتها على إدراك العالم، هذا الإدراك الذي لا يكون إلا من خلال فعل الصراع من أجل الاعتراف.

بصورة أكثر عمقا، يصبح الواقع الاجتماعي بحد ذاته هيمنة. لذلك على هذه الذات الفاعلة أن تعمل على تعزيز مبدأ الحرية أولا، وتدخّل في نزاع مع القوى المهيمنة.

ينتقل الحوار مع "هونيث" في سؤال آخر إلى الحديث عن الذاكرة ودورها في بناء الهوية الجمعية. هذه الهوية التي يرفض "هونيث" بناءها استنادا إلى أرضيات الثقافة المسيحية. وفي هذا، نستحضر موقف "هابرماس" من الإتحاد الأوروبي والذي يعتبره أسس لهوية وطنية قائمة على قاعدة اقتصادية بحيث كان وفيًا إلى المقاربة التي قدمها "فيبير" في علاقة بالعقل الأداتي وسيطرة عقلانية ذات طابع واحد. كما يحيل الحديث على الذاكرة إلى الصيغة التي قدمتها "ماير" للعلاقة بين الديمقراطيات المعاصرة وعلاقتها بالذاكرة وموجات الارتداد نحو الجذور والموروث الوطني، وأهمية المتاحف والاحتفالات التذكارية.

في نفس السياق، نقف على المعطى المتمثل في تسييس الهوية الجمعية، بحيث يُعاد إنتاج المواطنين بطرائق باهتة ومملة مثلما فسر "مايكل بيليج" (1947-...) وذلك من خلال التعويل على السياق الاجتماعي الذي تتكون من خلاله وعبره ما يسمى بالهوية الجمعية.

5. 2: أكسل هونيث وتجربة الاحتقار

أ- العنف الجسدي: من أعنف أشكال الاعتداءات التي تنتهك الذات في حريتها ومقومات الكرامة التي تبني بمقتضاها علاقاتها مع الآخر، هو العنف الجسدي.

يكتب "أكسيل هونيث" في: "مجتمع الازدراء نظرية نقدية جديدة": «مهما اختلفت نظم التبرير الاجتماعية التي بالإمكان خلقها للاستدراك، فإن تجربة العذاب والاعتصاب ستظل تثير على الدوام خيارا دراميا في ثقة الفرد بالعالم الاجتماعي وبأمنه الذاتي أيضا.» (HONNETH, P:323) بهذا المعنى،

نعيد التفكير في الأثر النفسي الذي يسببه العنف الجسدي على الذات في علاقة بتواصلها مع العالم الاجتماعي وبنفسها أيضا. هذه الممارسة تحيل على معاني الخوف، الاضطراب، الكبت، انعدام الثقة بالنفس، القهر ... وغيرها من النعوت التي تطعن في العمق معاني الشخصية السوية والذات الفاعلة والمتفاعلة إيجابيا مع المحيط الاجتماعي.

هذا الوصف يعني بصفة صريحة ومباشرة، أن مفهوم الاعتراف يقع انتهاك شروطه من خلال العنف الجسدي. وبهذا الشكل يظهر الاعتراف كشكل من أشكال تجريم الاعتداء على الذات من خلال العنف الجسدي.

ب- انتهاك الحقوق الأساسية للفرد: الشكل الثاني مما يسميه "هونيث" بانتهاك شروط الاعتراف، يتمثل في إقصاء الفرد من حقوقه الاجتماعية مما يعني تجريده من روابط الانتماء إلى المجتمع وبذلك تعود إلى الذهن مفاهيم مثل الاغتراب بشكل من الأشكال.

في هذا السياق يكتب "أكسل هونيث": «إذا ما تم رفض بعض الحقوق بشكل منظم، فذلك يعني ضمنا أنه لا يعترف له بالدرجة نفسها عن المسؤولية الأخلاقية التي يعترف بها لسائر أعضاء المجتمع.» (HONNETH, P:425)

بهذا الشكل، يصبح رفض الحقوق الاجتماعية للفرد في جزئياتها أو كليتها، رفضا للذات نفسها، لأن عملية التداوت التي تعني مسارا لاكتشاف الذات في أخرى مغايرة، تصبح بالشكل الذي فسره "هونيث" لتجربة حرمان الذات من حقوقها، بمثابة عملية تحقير لمقومات إدراك الذات لموقعها ودورها الاجتماعي، مما يجعلنا كما أشرنا إلى معاني الاغتراب. وكإسقاط لهذا المعنى على بعض الإشكالات المعاصرة، واستنادا إلى الموقف الذي قدمه "هونيث" في الحوار السابق ذكره، تحديدا النقطة المتعلقة بالحجاب، نفهم كيف يتحول انتهاك الحق في الظهور بمظهر معين (الحجاب) إلى سبب للإقصاء والاعتراب من خلال حرمان المحجبات من حقهن في تطبيق ما يروونه فرضا دينيا أو شأنا خاصا يُعبّر على حرية شخصية.

من جانب آخر، يؤدي حرمان الذات من حقوقها إلى فقدانها إلى الاحترام الذاتي. هذا الربط بين الحرمان من الحقوق والاحترام الذاتي، رغم انتفاء طابع الحتمية عنه، إلا أن ذلك لا يجب أن يصرفنا على الانتباه إلى المخلفات النفسية لهذا الحرمان وما تسببه من رد فعل على المستوى المجتمعي. وبالرغم من المقاربات التي تتحدث عن التصعيد بالمعنى الفرويدي أو التعويض من الحرمان بشكل من الأشكال، إلا أن تجربة الحرمان من الحقوق في عموميتها تقدم حصلا سلبيا نلاحظه من خلال ظواهر سياسية مثل العنف السياسي المسلح والحركات الراديكالية بمختلف تلويناتها الدينية والثقافية والسياسية.

ج- الحكم السليبي على القيمة الاجتماعية للفرد: إن الحديث عن تجربة الحرمان من الحقوق، يحيل في جانب منه إلى الحديث مباشرة عن الفرد وقيمه الاجتماعية. فإذا كان الفرد محروما من حقوقه من طرف جزء من المجتمع يمثل سلطة بشكل ما، فإن ذلك يعني بدرجة أولى الحكم على القيمة الاجتماعية، حيث تصبح تراتبية القيم الاجتماعية مرتبطة بمدى حصول الفرد على حقوقه، وأن أي انتقاص من تلك الحقوق يُعتبر إحالة مباشرة على الإقصاء وإعادة التصنيف الاجتماعي. في هذا الصدد، يقول "أكسل هونيث": «إذا كانت تراتبية القيم الاجتماعية قد قامت على أساس الحكم على أنماط الحياة أو القناعات من حيث كمالها أو نقصانها، فهي بذلك تحرم الأفراد المعنيين من أن يعزوا إلى قدراتهم الشخصية أي قيمة اجتماعية.» (HONNETH, P:245)

هذه الأشكال الثلاثة لما يسمى بتجربة الذل أو الاحتقار، أراد من خلالها "أكسل هونيث" أن يطرح الأسباب العميقة للصراعات الاجتماعية القائمة كإرهاصات أولية وأسباب تستنبطها الذات في علاقة بخوضها للصراع من أجل الاعتراف. وهذه اللوحة الثلاثية كانت في شكل مقارنة إيتيقية تؤكد على أن تجربة الاحتقار هي أساس كل وعى يتسم بالراديكالية والانفعال والذي يسبب كل حركات الرفض والتمردات وردود الفعل التي تقيمها الذات كرد فعل تجاه المجتمع بأفراده ومؤسساته.

بعد هذا التشخيص الذي يقدمه "هونيث"، يقدم البديل الذي يعتبره الحل أمام ما تعيشه المجتمعات المعاصرة. وهذا ما سوف نطرحه في العنصر الموالي.

6. أكسل هونيث ونماذج الاعتراف

مثلما كان "أكسل هونيث" ناقدا للأطروحات الحاملة لمدلولات الاعتراف بأشكال متنوعة، فإنه لم يقف عند حدود عملية المراجعة والتفكيك لمنطلقات هذه التصورات من جانب علاقتها بالذات وتفاعلاتها فقط، بل قام بتوظيف ما يعتبره غير مكتمل أو الجزء المبتور من النظرية الاجتماعية الرامية نحو تأصيل وتحيين مفهوم الاعتراف، حيث قدم ثلاث نماذج للاعتراف اعتبرها من جانب علاقتها بالذات، معبرة بشكل عميق على إنتظاراتها من عملية التفاوض. وأفضل ترجمة ممكنة لشرط تحقيق الاعتراف من جانب علاقتها (ونقصد النماذج الثلاثة) بالمعايير الإيتيقية للاعتراف.

في مقدمة الترجمة العربية لكتاب "التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف" نقف على معاني النماذج الثلاثة المشار إليها، وهي:

أ- الاعتراف في الحب: من أولى العلاقات التي يقيمها الطفل مع ذات خارجية، هي علاقته بأمه. هذه العلاقة التي تنطبع بمعاني الليبدو والتي تسمح له بما يسميه "هونيث" بـ "الأمن العاطفي". إذ نقرأ في الكتاب المذكور أعلاه: « الحب علاقة تفاعلية مؤسسة على نموذج خاص للاعتراف المتبادل. » (هونيث، 2012، ص:10)

هذا النموذج الخاص بالاعتراف يميلنا إلى الأطروحات التي تُعلي من شأن مدارس التنشئة الأولى مثلما هو الحال مع مقاربات "هربرت ميد" (1863-1931) (الميكرو) وتصورات "فرانسوا دوبييه" لمعاني التجربة. من خلال هذا الشكل من الاعتراف، وعن طريق ما أسماه "هونيث" بـ "الأمن العاطفي"، يمكن للذات أن تتعرف على المشاعر والعواطف وإمكانية إظهارها للآخرين. وتكون بذلك أول محطة في سيرورة الاعتراف. كما يمكن في نفس هذا المعنى، أن نشير إلى أبحاث "جيسكا بنجامان" في مبحث الاعتراف في الحب.

ب- الاعتراف في القانون: إذا ما أُتفق أن المجتمعات الحديثة بأساليبها الديمقراطية وتشريعاتها، تنطلق من حاجيات الفرد، بصرف النظر عن منطلقات هذه الحاجيات، فإن القانون يصبح، بل يُختزل في كونه الضامن

الحرية واستقلال الذات، "يضمن الاعتراف في القانون للأفراد حريتهم واستقلالهم الذاتي." (هونيث، 2012، ص:11)

إن المعنى من الاستقلالية والحرية إنما هو تعبير على ما كانت تنادي به الحداثة السياسية بل قبل ذلك ومنذ السؤال الكانطي الشهير: ما الأنوار؟ والذي كثّف إجابته في: الجرأة والاستقلالية والحرية في استخدام العقل. فالاستقلالية والحرية لا يمكن فهمها إلا في سياق المقارنة بالهيمنة بكافة أشكالها وما يعنيه هذا المفهوم من غياب مطلق للعقل والإرادة بمعاني الذات الحرة والفاعلة والتي تخوض صراعها من أجل الاعتراف.

ج- الاعتراف في التضامن: هذا الشكل من الاعتراف إنما هو نتيجة للاعتراف في القانون وبشكل آخر هو نتاج أو تعبير عن التقدير الاجتماعي.

هذا الاعتراف يرتبط بالمسؤولية الأخلاقية للمجتمع، وهو دلالة واضحة على إيتيقا الاعتراف داخل المجتمعات المعاصرة والتي أصبح فيها تحقيق التقدير الاجتماعي متوقفا على تحقيق الذات للاعتراف. نقرأ في كتاب "التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف": « هذا الشكل من الاعتراف يحقق للفرد تحقيق الذات. » (هونيث، 2012، ص:13)

هذه النماذج الثلاثة للاعتراف، تحيل على المعاني المرتبطة بالغايات الأساسية لفعل الاعتراف ذاته، حيث إذا ما تحقق الاعتراف في الحب، فإن الحاصل هو الثقة في الذات. وإذا ما حصل الاعتراف في القانون، فإن ترجمة ذلك هو احترام الذات. أما إذا ما فعلنا شكل الاعتراف في التضامن، فإن المقابل هو التقدير الاجتماعي.

بين الشكل والنموذج، أو بين النظرية والممارسة، أصبح الصراع من أجل الاعتراف هو الوسيلة والغاية في نفس الوقت في علاقة بفك تناقضات المجتمعات المعاصرة، وذلك وفق رؤية تُدمج الإيتيقا صلب النظرية السياسية المعاصرة وتفتح للذات أمكنة مغايرة من خارج مربعات الحداثة، هذه التي تُثبتها في مربعات الذات المقموعة وفق إحدائيات الهيمنة أفقيا والسلطة عموديا. وهذا ما دفع "أكسل هونيث" نحو البحث في إمكانات

الذات الفاعلة التي تخوض صراعها من أجل الاعتراف. هذا الأمر دفعه إلى محاججة فلسفات ما بعد الحداثة التي أعلنت عن موت الإنسان وذوبانه داخل عالم الرموز.

إذا كان "هابرماس" قد انشغل بتحيين المفاهيم المتعلقة بالذات وما تعنيه عملية التناوت انطلاقاً من المعنى الهيجلي، ومن مقاربات الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت-وفاء للماركسية في مستوى المنهج الاجتماعي-ونقدا للبدايات التأسيسية لمعاني العقل الأداتي والعقلانية المفرطة والبيروقراطية التي أسست للدولة الحديثة، فإنه أراد من خلال ذلك، أن يؤكد على استمرارية الحداثة كمشروع لازال يحمل المزيد من الممكنات ويعد بالتححر شرط أن تُحسن جرد ما يعوق هذه العملية التحررية، وأن نفهم نعيد الاعتبار لعملية التواصل التي تُنتج من خلال اللغة ما يسميه بالتفاهم. أما "هونيث"، فعبّر عملية التحيين النسقي لمفهوم الاعتراف، فإنه يريد أن يصل بمخرجات هذا البرادغيم إلى أقصى ما يمكن أن يؤديه من أدوار في تتجاوز المعنى التواصلية لهابرماس. فنقطة التوقف عند "هابرماس"، وهي التواصل، تصبح مع "هونيث" بحاجة إلى غايتها أو مبتهاها وما يمكن أن تقدمه، فيجعل من الاعتراف غاية الفعل التواصلية. من "هيجل" كمشارك في عملية البحث والتقصي على مفهوم الاعتراف عند "هابرماس" و"هونيث"، مروراً بنقد الرواد الأوائل لمدرسة فرانكفورت، تعريجاً على إدماج فلسفة اللغة، ثم وقوفاً مع مميزات العقل الأداتي في الدولة الليبرالية الحديثة، كانت سيورة البحث والتعمق في فحص مدلولات الاعتراف كفلسفة متكاملة وكحل له من الممكنات ما يجعله راهناً وضرورياً. هذا، دون أن نغفل مايعنيه هذا المفهوم من مدلولات اجتماعية ونفسية وقانونية وسلوكية، يمكن إدماجها في عملية تأصيله وإعادة طرحه على محك الاختبار العملي.

خاتمة:

تطرح الأطروحات التي قدمها "هابرماس" و"هونيث" ممكنات جديدة وفاعلة تُظهر بصورة واضحة وجلية، أن مفهوم الاعتراف، يُمكن أن يكون من الآليات الرئيسية في علاقة بحل تناقضات المجتمعات المعاصرة، شرط أن يكون مساوقاً للتغيرات والأشكال الجديدة منها. وفي جانب آخر، تتوقف راهنية المفهوم، على مدى استجابته لشروط إدارة الصراع من جهة، وفهم ارتداداتها من جهة أخرى. ولعل القراءات المتعددة لهذا المفهوم،

وتطويعه لفائدة حسم صراعات الاعدالة والا تكافئ، يسمح بتوسيع مجالات استعماله وتنزيله في خط
المواجهة الأول ضد الهيمنة والسيطرة ومحاولات الاخضاع. وربما تبدو هذه المصطلحات مشحونة بمفردات
المعجم السياسي الفلسفي، لكنها في نفس الوقت، تشمل الجانب المتعلق بالبحث السوسيولوجي الهادف نحو
الكشف عن ميكانيزمات الهيمنة مثلما أشرنا. وأمام تناقضات الدولة العربية الحديثة، والإشكاليات التي
يواجهها البناء الاجتماعي من جهة، والتداخل الثقافي من جهة ثانية، قد يُسَعَفنا مفهوم الاعتراف إذا ما أردنا
إعادة بناء الهايتوس الجماعي وتطوير ميكانيزمات اشتغال الذات الفاعلة بعيدا على نزعات الخطابات الحالية
من التحيين النظري، واللامتساوقة مع منبتها السوسيولوجي أو مدارها الحديث والإنساني.

قائمة المصادر والمراجع:

1. قائمة المصادر:

أ/ باللغة العربية:

- __ هابرماس، يورغن. (2002). بعد ماركس. تر: محمد ميلاد. بيروت: دار الحوار.
- __ هابرماس، يورغن. (2003). العلم والتقنية كإيديولوجيا. تر: حسن صقر. بيروت: دار الجمل.
- __ هونيث، أكسل. (2012). التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف. تر: كمال بومير. الجزائر: كنوز الحكمة.
- __ هونيث، أكسل. (2019). الاجتماعي وعالمه الممزق، مقالات فلسفية اجتماعية. تر: ياسر الصاروط.
الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ب/ باللغة الأجنبية:

_ HABERMAS, YURGEN. THE THEORY OF COMMUNICATIVE ACTION. VOL1. Boston: Beacon PRESS.

_ HONNETH, AXEL. **THE SOCIAL DYNAMICS OF DISRESPECT.**
SITUATING THEORY TODAY. In DEWS. PETER (ed) HABERMAS,
A CRITICAL Reader .

2. قائمة المراجع:

- _ لالاند، أندريه. (2001). الموسوعة الفلسفية. بيروت-باريس: منشورات عويدات.
- _ صليبا، جميل. (1990). المعجم الفلسفي. بيروت: الشركة العامة للكتاب.
- _ درويش، حسام الدين. (2014). جان جاك روسو والاعتراف، تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا وعربيا. مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية. المجلد الثالث. العدد: 10. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- _ بومنيير، كمال. (2015). أكسل هونيث فيلسوف الاعتراف. بيروت: منتدى المعارف.
- _ راولز، جون. (2004). العدالة بين السياسة والميتافيزيقا. تر: محمد هاشمي. بيروت: مدارات فلسفية.
- _ هشام، عبد النور. (2007). نظرية التحرر عند هابرماس. بيروت: ثقافة المقاومة.